إبستيمُولوجيا المَنظُومة اللّسانية عندَ الخليل بن أحمد الفراهيدي مِنَ البِنيَةِ العقلية التكوينية إلى البنية الحضاريّة الفاعلية

The epistemology of the linguistic system at el khalil ibn Ahmad al-Farahidi from the structure of the formative mentality to the effective civilizational structure

الطالب: ياسر أغا*

تاريخ الاستلام: 13-03-2019 تاريخ القبول: 10-02-2020

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى عرضِ المنظومة المعرفية اللّسانية عندَ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وذلك باستقراء جهازها المفاهيمي وطرقها المنهجية لتبيان النظرية اللسانية العامّة عندَ الخليل وما تفرزه من مقولات علمية ذات منهج مختص في البحث عن اللغة وأشكال دلالتها، وإنّ هذا المسلكَ التقييمي سمح لنا باجتراح أدوات استقرائية معتمدة على الوصف والتحليل مُتوسلة لغة العلم وأساليب بناء النماذج، الّتي أفضت بنا إلى خُلاصة مفادها أنّ النموذج اللّساني عند الخليل يمثّل منظومة معرفيّة مُتطوّرة أسهمت في الكشف عن نظام علمي يتحكّم في سيرورة اللّغة

كلمات مفتاحيّة: إبستيمولوجيا؛ منظومة لسانية؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ بنية تكوينية؛بنية حضارية .

* المركز الجامعي: أحمد صالحي- النعامة– الجزائر، البريد الالكتروني:yasseragha32@yahoo.com (المؤلف المرسل)

Abstract:

The purpose of this study is to uncover the cognitive system of linguistics at el khalil bin Ahmed Al-Farahidi by extrapolating the concepts and methodology used in his general linguistic theory and the scientific arguments he has produced in the interpretation of the language and its phenomena. In this study we relied on the descriptive and analytical approach using the language of science in explaining the results Among them that el khalil linguistics is a sophisticated knowledge system .

Keywords: Epistemology; linguistic system; Khalil ibn Ahmad al-Farahidi; structure structure;

1.مقدّمة:

إنّ المتأمّل الناظر وَهُوَ يُقلّبُ صَفحاتِ **"العَيْن"** على سبيل المثال، لا بُدّ له أن يتساءل عن العَقْلِيَةِ الفَذّةِ التي أبْدَعَتْ هذا الكتاب، وهي عقْلِيَةُ عَلَمٍ مِنْ أعْلام الْعَرَبِيّة، وأبنائها البَرَرة الّذين قَاموا على خِدْمَتِها وأخلصوا في التّقعيدِ لَها والّذين جادت بهم مشيئةُ اللّه فأبدعوا مُؤلفَاتٍ وآثارا قَيِّمَة، أضْفَتْ بذاتها أصالةً على التُراث العَربيّ في صبْغَته اللّغوية، لِتَكون بذلك آثارَ عَلَمٍ مِنْ صَفْوَةِ وعلماء وشُيوخ العربيّة، ذلك هو الخليلُ بْنُ أحْمَد الفَرَاهِيدي نادرة من نوادر الزّمانِ عَبْقَرِيٌّ مِنَ البَصْرَة و إمَامٌ من أئمّة العرَبِيّة، وإنّ الوقوفَ عند هذه الظاهرة العلمية المتمثلة في شخص الخليل هُو بحث في المقام الأوّل عن بنية معرفية عامّة أسهمت في إنشائها عوامل عديدة ساعدتها في رسمِ منهجها العلميّ الخاص الّذي نحت به منحى الإبداع والتفرّد، ولعلّ الإشكال الّذي يمكننا طرحه في هذا الصدد هُو كالآتي:

ما الأبعاد المعرفيّة الّتي وجّهت معالم المنظومة اللّسانية عندَ الخليل؟ وما هي أهمّ بنياتها؟

وللإجابة عن الإشكال المطروح اقترحنا هذه الخُطة العملية الّتي ستوجّه مسارَ البحث وتقوم بتحليل المُعطيات ومُساءلتها وتفكيك مقولاتها وإعادة بنائها على نسق إبستيمي:

1- ترجمة عامّة للخليل بن أحمد الفراهيدي.

2- تشريحُ المنظومة الإبستيمولوجية الخليليّة.

3- أ- البنية العقلية (مرحلة التكوين المعرفي)

4- ب- بِنيةُ الاشتغال (مرحلةُ التأسيس العلميّ)

5- ج- البنية الحضارية (مرحلة النتاج والفاعلية)

6- حوصلة واستنتاج.

1. ترجمة عامّة للخليل بن أحمد الفراهيدي

هو أبُو عَبْدُ الرّحمن بْنُ أحْمَد الفَرَاهيدي الأزْدِي الْيَحْمُدي[1] وهُوَ رجلٌ من الأزْدِ مِنْ فَرَاهِيد ، ويُقَالُ رَجُلٌ فَرَاهيدِيّ، وكان يُونس يقول: فرهودي مثل قردُوسي[2] والفرهودي هذه نِسبةً إلى فراهيد بن مالك بنُ عبْدِ اللّه بنُ مُضَرْ الأزْدي البَصْري[3]، وتَذكُرُ الرّواياتُ أنّهُ وُلِدَ سنة "مائة للهجرة"، في زمن الخليفَةَ الأموي العادِل عُمَر بن عبد العزيز[4] وقد لَزِمَ الخليلُ علماء أجِلاّء، ولهُ مِنْ شيُوخه الّذين حدّث عنْهُم، سنَدٌ عالٍ، فقد حدّثَ عن أيّوب السَخْتِيانيّ وعاصِمَ الأحْوَل وعنِ العوّام بن حوْشَبْ، وغالِبَ القطّان[5]، وتلقّى عَنْ أبي عمرو بن العلاء وأبي عمرو الثّقفي وغَيْرِهما.[6] أمّا مُريدوهُ فقد أخَذَ عنه سيبويهِ النّحوَ، والنّضر بنُ شُمَيْل وهارون بنُ موسى النّحوي، وهْب بن جرير، والأصْمعيّ وآخرون [7] ومِنْ أشْهَرِ تلامِذَتِه غَيْر سِيبَوَيْهِ والنّضْر بن شميل والصّفوة الّتي تمّ ذِكرُها نجد كذلك: مُؤرّج السّدوسي، عليّ بنُ نَصْرٍ الجَهْضَميّ، الوليدُ بن محمّد التّميميّ المَصَادري

عُيَيْنَةَ بنُ عبد الرّحمن المِهْبَلِيّ [8]، أما عن عطاءاتهِ العلميّة فقد كانَ للخليل بن أحمد جهودٌ عظيمة تَبَلْوَرت أعظَمها على صعيدِ اللّغةِ والأدب وعُدّت مِنَ الآثار القيّمَةِ الّتي بَرهنت على ما وُصِفَ بهِ هذا العَالِمُ الجليل مِنْ ذكاءٍ وعِلْم، "فقد كان غايةً في استِخْراجِ مَسَائلِ النّحو وتصحيحِ القِياس فيه"[9] قال الزّبيدي:" وهُوَ الّذي بَسَطَ النّحو ومدّ أطنابه وسبب عِلَلَهُ، وفَتقَ معانِيه أنْ يُؤلّفَ فيهِ حَرْفًا، أو يرْسُمَ مِنهُ رَسْمًا تَرَفّعًا بِنَفْسِه وترَفّعًا بِقَدْرِه، إذْ كانَ قد تَقَدّمَ على القَوْلِ علَيْه والتّأليفِ فيه فَكَرِهَ لِمَنْ تقدّمَهُ تاليًا وعلى نَظَرِ مَنْ سبقَهُ مُحْتَذِيًا، واكْتَفى بذلك بِمَا أوْحى إلى سيبَوَيْهِ مِنْ عِلْمِهِ، ولَقّنَهُ مِنْ دقائقِ نَظَرِه ونتائجِ فِكْرِهِ ولطائفِ حكْمَتِه، فحملَ سيبويْهِ ذلك عنْهُ، وتقلّدهُ وألّفَ فيهِ الكِتاب الّذي أعْجَزَ مَنْ تَقدّمَ قَبْلَهُ، كما امْتَنَع على مَنْ تأخّرَ بعْدَهُ".[10]، وقالَ ياقوت الحموي:" الثالثة ما منحهم في لغتهم من حصره إيّاها في الكتاب الّذي سمّاهُ كتابُ العين، فبدأ فيهِ بسياقة مخارج الحروف وأظهرَ فيه حكمة لم يقع مثلها للحكماء من اليونانيين فلمّا فرغَ من سردِ مخارج الحروف عدلَ إلى إحصاء أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء؛ فزعم أنّ مبلغَ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرير ينساق إلى اثني عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف وخمسة آلاف وأربع مائة واثني عشر، والثّنائي منها ينساق إلى سبعمائة وستة وخمسين، والثلاثي إلى تسعة عشر ألف وستمائة وستة وخمسين، والرُباعي إلى أربعمائة وواحد وتسعين ألفا وأربعمائة، والخُماسي إلى أحد عشر ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين ألفا وستمائة."[11]

توفّي الخليل رحمه اللّه سنةَ سبعين ومائة، وقالوا سنة خمس وسبعين وهُو ابن أربع وسبعين سنة [12]، وقد وصفه أبو الطيّب اللّغوي مادحا صنيعه اللّغوي وإبداعاته قائلا:" وأبدعَ الخليلُ بدائع لم يُسبق إليها ،فمن ذلك تأليفه كلام

العرب على الحروف في الكتاب المُسمّى العين، واختراعه العروض، وأحدث أنواعا من الشّعر ليست من أوزان العرب." (13)

2. تشريحُ المنظومة الإبستيمولوجية الخليليّة:

إنّ البحثَ في البنية العلميّة تحديدا الّتي وجّهت آراء الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو يتقصّى حقائق اللّغة محاولا سبرَ أغوارها، كاشفا عن تلك الأنساق الضمنية والمُضمرة، ستجعل القارئ المتبصّر في مساءلة مع شبكة من الأنظمة المعرفية المتميّزة، الّتي صحبت هذه الممارسة المعرفية الواعية مِن فرضيات مُمكنة إلى مقولات كائنة، قامَ بصياغتها الخليل وفق مُعطيات منطقية يعقدُ صلتها في المقام نفسه، موجود حادث " أنظمة المعيش اليومي" صُحبةَ عقل مُدرك لمضمون دلالةِ وظيفتها وماهيتها.

يقول محمّد سالم سعد الله :" لقد عمل الخليل على الاشتغال على مُمكنات المنظومة المعرفية، وقد نظر إليها أنّها كُلٌّ مُتماسك في إطار واحد، ولم ينظر إليها على أنّها وحدات معرفيّة مُنفصلة- وبها ارتسمت خصوصيّته- فقد عمد إلى تتبّع الاستقراء العلمي الدقيق في معرفة منهجيّة الدّرس أو العلم الإسلامي في مراحل علميّة مُختلفة، وفي امتداد زمنيّ مُعيّن، ومحاولة توظيفِ تلك المنهجيّة في بناء جدول معرفيّ لاختصارِ الجهودِ والطّاقاتِ وتكثيفها، فجاءت اكتشافاته على صعيد البحور الشّعرية ونظريّة النحو العربي الّذي ضمّ في البدء الصرف والبلاغة والأسلوب، ودراسة تطوّر اللغة، وكيفية تطوّرها، وضمّ المنطق والجانب العقديّ في النّحو العربي، والحديث غير المفتعل عن بعض علل النّحو،وانتقل إلى الممكنات العلميّة على صعيدِ الرّياضيات والموسيقى، ونحو ذلك، ولا بُدّ أن نُبيّن حقيقةَ أنّ علم الخليل ومنظومته المعرفية لا تزالُ غير

معروفة، لأنّ نتاجات الخليل وطروحاته لم تصل إلينا كاملة، ولذلك تبقى الآراء النقدية أو المُناقشة أو المُحاورة لمنظومة الخليل نسبيّة غير مُطلقة."[14]

لا شكّ أنّ إقامة قراءة حفرية تبتغي بيانَ أسس تشكّل منظومة معرفية مُتّزنة أسهمت في بناء هذا الصرح العلمي " العقل الخليلي " لرصد سبق معرفيّ علمي لا بُدّ لها أن تقيم خُطاطة إبستيمولوجية للإعراب عن مظهر من مظاهر الوعي وذلك للكشف عن البنيات المحرّكة لهذه الذّات المُنتجة، ولعلّ أسس هذه المنظومة المعرفيّة تُوجّهها هذه البِنْيات الرّكائز وهي كالآتي:

1.3البنية العقلية (مرحلة التكوين المعرفي)

مِنَ المعلوم أنّ البداية الفعلية لتعاطي أيّ نوع من الممارسة المعرفية في مُحيط ما، أيّا كانت بؤرته السوسيوثقافية الّتي تتحكّم في مقولاته العامة، لا بُدّ أن تسبقها مرحلة قبلية تتمثّل لمعطياتٍ تُراثية (تَكوينيّة) في سياقٍ حاضرٍ يعمل على مُقاربة هذه المعطيات القارّة في مرحلتها الأولى، لبناء أولى الدّلالات وتحويلها من حقيقة غائبة إلى حقيقة حاضرة، عبر مسالك عقلية غايتها بناء أنموذج مُحدّد تحكمه منظومة معرفيّة مُتّسقة المعايير في الوصف والتحليل والاستنباط.

إنّ تعامل الخليل بن أحمد الفراهيدي معَ الموجُود اللّغوي آنذلك، برؤية خاصّة مُمايزة لمقوّمات الكلام بشكل مُتوالٍ منتظم، وقدرته في تناول البنية العامّة لجهازِ التخاطب بوصفه مُدركا في صورته الإنجازية وفقا لأطر منهجيّة معيّنة تفرضها في المقام نفسه ذاكرة ثقافية مُكتسبة " الثقافة الإسلامية " في مقام علميّ مخصص يكمن في مُساءلة الموجود اللغوي " المُدوّنة المسموعة مْن كلام العرب الفصيح "، مَكَّنَهُ من رسم أفق معرفيّ يرصد مسيرة الظاهرة اللغوية عبر أنساق استنباطية مُتمايزة انتقلت من الوصفي والحسيّ المُدرك " المادّة الصّوتية " إلى العقلي الحسابي في الكشف عن الأنماط المتحرّكة والمتغايرة داخل نظامٍ

لسانيّ يُحدّده نسقٌ رياضيّ بحث " وبهذا يُمكن القول إنّ الخليل استطاعَ أن يحوّل الدّرس العربي الإسلامي مِنَ الوصف إلى التحليل ومن دراسة الناتج إلى دراسة المنتوج، ومن كَوْنِ اللّغة قوالب ومعايير إلى مجموعة أساليب حيوية في فهمِ الإبداع العربيّ الإسلامي، ولعلّ مُقاربات التكوين المعرفي للخليل في نتاجاتهِ الّتي وصلت إلينا- ورأى بعضها النّور هي مُقاربات ذات طبيعة رياضية بشكل دقيق وذلك من خلالِ تحليله الّذي أسند لنفسه مهمّة كشفِ سرّ الطّبيعة الرّياضية الّتي الظواهر اللّغوية."[15]

لا شكّ أنّ هذه المرتبة البنائية العقلية في مرحلة التكوين الّتي حظي بها الخليل سبقتها ولادات معرفية، في ظلّ سياق علميّ مُتراكم أسهمت في بزوغ منهجها الإبستيمولوجي، مانحة إيّاها مُمارسة علمية واعية لمختلف الظواهر والقضايا المطروحة، فَعِلْميّةُ الخليل في سُلّم التكوينِ المعرفيّ ما هي إلّا امتداد ومُحاكاة لسلسلةٍ مِن أعلامِ وجهابذة اللغة في مرحلتها الأولى وهذا أمر طبيعيّ "مَرحلةُ المُريد"، وفي المقامِ الثّاني نتاجٌ مُميّز غيرُ مُستنسخٍ برؤى علمية مُمَنْهجة ومُدركات ثقافية عالية " مَرْحلةُ المَشْيَخة".

2.3بنيةُ الاشتغال (مرحلةُ التأسيس العلميّ)

إنّ الانتقال بينَ أطوار المعرفة اللغوية وُصولاً إلى حقيقتها العلمية، بوصفها ظاهرة لها كلّ مميّزات الوُجود الموضوعي الّذي لا ينغلقُ منه شيء على سؤال العقل[16] يستحيل عليها أن تتأسّس في شكل نهائيّ دُون أن تمُرّ بحلقات من الاشتغال المعرفيّ، فعناصر التأسيس العلمي في " بنية الاشتغال" وما تفرزه من تقديرات علمية وطرائق في الاستنباط، مَرَدُها إلى مُحدّدات من التوصيفات المعرفيّة الّتي يتميّز بها حقل عن آخر.

إنّ المقاربة الّتي يمكن لنا تَمَثُّل عناصرها عندَ الخليل في هذه المرحلة المهمّة في هذا المسار التأسيسي، هُوَ منهجه الشّمولي في عَتبةِ التأسيس الأولى محاولاً جمعَ سَمْتَ العرب في معهودها المنطوق " السّماع اللّغوي " وتختصره العبارة الآتية :" سمعتُ قوماً مِن العربِ يُنشدون هذا البيت .."- وغيرها من الصّيغ – وهذا المسموع يمثّل الأصلَ الأوّل والأساس في الحُكم على الظاهرة اللّغوية، فلا صحّة لحكم دون حُجيّة مْن هذا "المنقول " كما اصطلحَ عليه ابن الأنباري [17]، ولا بُدّ من ضبطٍ منهجيّ على الخليل القيام به في دراسة اللّغة إذ يُعدّ شرطا مهمّا في هذه الممارسة العلمية " هُوَ أن يجمعَ المادّة المدروسة جمعا واعيا وافيا وإلا كانَ عمله ناقصا وكانت قواعده منقوضة وستُهديه نظراته الأولى فيها إلى ما تحويهِ من أوجه الاختلافِ وتنوّع الظّواهر، فيرى نفسه مضطّراً إلى تصنيفها وتقسيمها لتكون نتائج دراسته أكثر صحّة ولتكون قواعده أكثر اطّراداً."[18] حينئذ تتهيّأ له مرحلة أخرى من معطيات التنظيم المنهجي وهي مرحلة "الاستقراء" تُلفي فيها الخليل يستدلّ بعقل حسابيّ بالخاصّ على العام، يفحص جزئيات الظّاهرة اللغوية المدروسة على نحوٍ من الوصف والتحليل والتعليلِ، ويظهر لنا هذا الأمر في طرقه العقلية في وصف "الصّوت" وتشريح الجهاز النُطقي، وما للمكوّن الصّوتي من اعتبارات وظيفية على مستوى التركيب اللغوي للملفوظ العام، في شكله النهائي في سياق تلفظ مخصوص(اعتبارات مقامية تتحّكم في تصعيد الحجم الفيزيائي للصّوت وتخفيضه وتبدّلاته الطبيعية)، هذه المتوالية المعرفية أسهمت للخليل في فتح أفق معرفيّ آخرَ تشكل له وفق منظومة متسلسلة من المُعطيات العلمية، تجاوزت اللغة في قالبها التداولي المعروف، لتقتحم أنساقا أخرى كان للعنصر الموسيقي الفضل في ذلك مُتمثّلة في المستوى التنغيمي، تتحكم فيها قاعدة الحركة وَالسّكون توصّل من خلالها الخليلُ إلى وضع خريطة فنيّة

مُبدعة انطلاقا من دراسة مستويات الإدراك الموسيقي، إلى معرفة البحور المؤسسة للشّعر العربي.

إنّ الطبيعة العقلية التأسيسيّة للخليل تُمثّل صورة ناصعة لمتوالية البناء العقلي عند علماء العرب، الّتي اعتمدت على بيان كنه الأشياء وميزات الظواهر وتقديم معطيات الإجراءات التنظيرية المنضبطة، بمسيرة مِنَ البحث والاستقصاء، ومعرفة تتّسم بالتأصيل ويمكننا القول بناء على ما سلف أنّ مرحلة التأسيس العلمي اتّسمت بمنهجية منضبطة قائمة على اعتبارات معرفية كاعتماد الخليل على السّماع والاستقراء بوصفها أدوات مهمّة وناجعة في بيان الظاهرة العلمية، إضافة إلى استخذامه لأساليب تحليلية في دراسة العلاقات البانية لنظم الكلام[19]، واعتماده على المكوّن الصّوتي بوصفه المحرّك الاستدلالي الأوّل في بيان المعطيات اللغوية والدلالية الجديدة.

3.3البنية الحضاريّة (مرحلة النتاج والفاعلية)

إنّ الحديثَ عن هذا المسارِ في هذه البنية بالتحديد، هُو حديث عن مرحلة من الإفراز العلمي المُتّزن والمُنهج، والّذي أسهمَ في بلورته سلسلة مِن التراكمات المعرفية الّتي سعت إلى البحث عن ظواهر معيّنة، لتبيانِ حقيقتها وعناصرها وكُنه مقولاتها، وقوانينها ووظائفها، ضمن جهاز علميّ موحّد غايته دراسة اللّغة والبحث عن أشكالها الدّلالية.

يتضّح لنا هذا الأمر حقيقة قارّة في نِتاجِ الخليل بن أحمد الفراهيدي، في منظومته اللّغوية الكليّة بوصفها ابتكارا عقليّا يستندُ إلى معطيات نظرية وتصوّرات إجرائية، من حيث هي رصيد فكري يتحقّق في عناصر فردية دالّة في أنسجة بنائها التركيبيّ عبر مستوياته المعروفة .

وتتضّح هذه الفاعليّة بدرجة أشدّ في مدحِ الأوائل لصنيعه بقولهم:" كانَ عقل الخليلِ أكثر من علمهِ."[20] وفي إسنادِ رُتبةِ " الأوْلويّة" لهُ في ابتكارِ ما لم تعهده العرب من قبل وهوُ الّذي " يُلقّب بصاحب العروض"[21] و يمكننا القول إنّ الخليل عقل حازَ قصب السبق في كلّ فَنّ قصده وتأمّله، " فقد كانَ رحمه اللّه من أذكياء التاريخ وعباقرة العلماء، صنعَ للعربيّة كثيرا وأتاها من الفضل ما لم يؤتها أحدٌ من العلماء؛ ابتكرَ العروض، وخرجَ به إلى النّاسِ علما كاملا، فضبط به الشّعر العربيّ وحفظه مِنَ الاختلالِ، وابتكرَ طريقةً أحصى بها مُفرداتِ اللّغة وميّز بها المهمل دون المستعمل، ثم دوَّن على هُداها معجم العين."[22] إضافة إلى فكرته البديعة الّتي بنى عليها أوّل معجم أخرج للنّاس وعي فكرة رياضية محضة سابقة لأوانها[23] فهو بحق " نابغة العرب وسيّد أهل الأدب."[24]

ومن سماتِ هذه المرحلة الّتي تمثّل النتاج الإبداعي عنده " إتقانه لنظريات العلوم الرياضية في عصره علما وفقها وتحليلا، ونظريتي المعدلات والتبادل والتوافق خاصة، فقد اشتق له تفاعيل خاصة وأدارها في دوائر كدوائر المهندسين مستخدما إشاراتٍ من النّقط والحلقات وتصوّر ما يجري في التفعيلات من زحافات."[25]

إنّ الفاعلية الإنتاجية للخليل بن أحمد الفراهيدي كانت تمتازُ بنتاجها التركيبيّ الّذي لا يعرف التجزئة أو التقسيم، يمكن وصفها إنّها فاعلية مرصّعة بمدركاتٍ علنيّة لا تمنحُ نفسها للجميعِ إطلاقا، إنّها نتاج يدّل على إبداعٍ حضاريّ إسلاميّ موسوعيّ، وعلى عقلية متّقدة تتجّه نحو الابتكار لم تكتفِ بتحليلِ الوقائع وبيانِ مُمكناتِ تشكّلها، بل عمدت إلى واقع افتراضيّ ناقشت فيهِ المسائل العلميّة كما لو أنّها واقعة فعلا [26].

إنّ مساءلتنا لفكر الخليل في هذه البنية الّتي نطرقها على شكل مقاربة إبستيمولوجية يمكن لنا تمثّل عناصرها في نقاطٍ عدّة، يجوزُ لنا وصفها بـ:(مرحلة العطاء والابتكار) كونها معطى حضاري يُترجم لنا معرفة عقليّة شهدتها الحضارة العربية مُتمثّلة في شخص الخليل بن أحمد الفراهيدي، واحد من جملة المبدعين الّذين غيّروا مسار الحركة الثقافية والعلمية للأمة العربية.

ولعلّ إفرازات هذه المرحلة (مرحلة العطاء والابتكار) يمكن اختصارها في هذه العناصر الآتية:

1: استقراؤه الدّقيق لكلام العرب ووضعه لمنهجيّة علميّة تحدّد أصول العربيّة تُعرف بها أدلّة النّحو لإثبات صحّة الأحكامِ ومعرفة ما يتألف منه الكلام العربي من خلالِ حصره دائرة السّماع في الموثوق بفاصاحته من العرب، وجعل القياس على الكثير مرتبة ثانية، ومُعاملته للشاذّ الّذي يُحفظ ولا يُقاس عليه عن طريق عمليات تأويلية.

2: تركيزهُ على المكوّن الصّوتي كأداة معرفيّة في بناء منظومته العلمية لا سيما نظراته الأولى في الأصوات المنطقيّة (الإنسانية) في مُستواها الموضوعي (الطبيعي).

3: نزعته الرياضية في معالجة الظواهر اللّغوية، ومحاولة تفسيرها ووصفها وتحليلها وفق منهج حسابي يمتازُ بالدّقة، يتضّح لنا هذا في ثنائية (التبادل وَالتوافيق).

4: اختراعه لنظامٍ خاص لم يألفه العرب من قبل، أحصى فيه أوزانا عروضية ينتظم فيها شعر العرب وأخرى جديدة لم يعرفوها، واجتهاده في وضع أبجديّة عروضية تختصرها إشارات معيّنة [/ ،0]، ترسم ما يجري في التفعيلات.

5: تأسيسهُ لأوّل نواة معجمية (مُعجم العين) سعت إلى حفظ اللّغة وحصرها عن طريق مُتوالية علميّة وضعت اللّبنة الأولى في التبويب المنهجي للمادة اللغوية

مرتبة على أساس علميّ (اختيار صوتيّ) تستقصي الكلم العربي في شتّى تبدّلاته وتقلّباته، ومنحه هذا الأمر لقب (المدرسة المعجميّة المتفرّدة).

6: وضعه لميزان صرفي يُعرف به أصل الكلمة وجذرها وصيغتها وما أُلحق بها من زوائد، وابتكاره لتقنية تُعرف بها الكلمة العربية أهي عربية فصيحة أم دخيلة، من خلال أحرف الذلاقة المجموعة في قولهم (فر من لب) فإن وُجدت كانت الكلمة فصيحة وإن خَلت منها كانت دخيلة.

7: ابتكاره لجملة من المصطلحات العلمية الّتي تخدم الفنون اللغوية المختلفة كالرّفع والنّصب والخفض في النحو مثلا على علامات الإعراب، والحيّز والمدرجُ والصّفة في الأصوات، والعمود والسّبب والوتد وأسماء البحور الشعرية مثلاً في العروض.

3.**خاتمة**:

إنّ النتيجة الّتي نخلصُ إليها من خلالِ هذا العرض الإبستيمولوجي الوصفي لفكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أنّه كان عقلاً متميّزا، سلك طرق خاصّة في طرق ظواهر لغوية وجّهت سبيلها مُمكنات معرفية ورؤى علميّة بمنهجيّة سليمة راعت الخصوصيّة الإبستيمية للنّسق الموضوع بالدّرس والتحليل عبر مُستوياتها المختلفة المعروفة (النحوية- الصوتية- المعجمية والدلالية) وهذا يدلّ على منزلته العلميّة والعقلية الّتي منحته صفة العبقرية المعروف بها عندَ طبقته من النحاة واللغويين، وفي مقام آخر يجوز لنا القولُ إنّ زادا معرفيا مثل مشروع الخليل يمثّل في حقيقته منصّة معرفية تستدعي من القرّاء الباحثين التفاتة ثقافية علمية لإعادة قراءة هذا المضمون العام قراءة نقدية واعية مُراعية في ذلك الخصوصية الإبستيمولوجية لهذا التراث ومحاولة مقاربته مع المعطيات اللسانية المعاصرة، وذلك لإخراجه مِن الحلّة المحلّية إلى العالميّة.

قائمة المراجع: [27]

1- ابن خلكان، وفياتُ الأعْيَان و أنْبَاء أبْنَاءِ الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الصّادر بيروت، 1972.

2- الأزهري أبو منصور، تهذيب اللّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، مراجعة :محمّد علي النّجار، الدّار المصرية للتأليف والترجمة، 2001.

3- الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط1984،1.

4- السيوطي؛ عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، مكتبة دار التراث، ط:1998،3.

5- التواتي بن تواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة- الجزائر، ط1، 2008.

6- السيرافي ؛ أبو الحسن بن عبد اللّه، أخبار اللغويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني- محمد عبد المنعم خفاجى، شرطة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده.مصر، 1966.

7- الذّهبي ؛ شمس الدّين محمد بن أحمد ابن عثمان، سِيَرْ أعلام النّبلاء، اعتنى به: محمد بنُ عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصّفا، دار لبنان الحديثة، 2009.

8- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، 1993.

9- محمّد الطنطاوي، نشأة النّحو و تاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، القاهرة، 2008.

10- محمّد خيرُ الدّين الحلواني، أصول النحو العربي، دار إفريقيا الشرق- المغرب، 2011.

11- سعيد جبر أبو خضر، وَ محمّد محمود الدروبي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، منشورات جامعة آل البيت، 2008.

12- عبد السلام المسدي، مباحث في اللّسانيات التأسيسيّة، دار الكاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010 .

13- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر، 2007.

14- علي النجدي ناصف، سيبويهِ إمامُ النحاة، عالم الكتب- القاهرة، 1979.

15- فخر صالح سليمان قدارة، مسائل خلافية بين الخليل و سيبويه، دار الأمل، 2013.

16- رابح بوحوش، المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة- الجزائر، ط1، 2010.

17- رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، 1993.

18- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط2011،7.

هوامش:

(1) يُنظَر :ابن خلكان، وفياتُ الأعْيَان و أنْبَاء أبْناءِ الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الصّادر بيروت ج2.ص:244

(2) يُنظر: الأزهري أبو منصور، تهذيب اللّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، مراجعة: محمّد علي النّجار، الدّار المصرية للتأليف و الترجمة، ج1.ص:10

(3) ينظر : ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي ج3، ص: 126.

(4) ينظر: رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، ج:03- ص:118.

(5) ينظر :الذّهبي ؛ شمس الدّين محمد بن أحمد ابن عثمان، سِيَرُ أعلام النّبلاء، اعتنى به: محمد بنُ عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصّفا ، دار لبنان الحديثة، ج05- ص:1299.

(6) ينظر: محمّد الطنطاوي، نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2- ص:77.

(7) ينظر : ينظر :الذّهبي ؛ شمس الدّين محمد بن أحمد ابن عثمان، سِيَرُ أعلام النّبلاء، اعتنى به: محمد بنُ عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصّفا ، دار لبنان الحديثة، ج05- ص:1299.

(8) ينظر : فخر صالح سليمان قدارة، مسائل خلافية بين الخليل و سيبويه، دار الأصل، بتصرّف، ص: 20- 22.

(9) السيرافي ؛ أبو الحسن بن عبد اللّه، أخبار اللغويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني- محمد عبد المنعم خفاجي، شرطة و مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده. مصر. ص:30.

(10) ينظر: نشأة النّحو و تاريخ أشهر النّحاة، ص: 77- 78.

(11) معجم الأدباء، ص: 1261.

(12) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط1- ص:51.

(13) السيوطي؛ عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، ط:3، ج1، ص:401.

(14) سعيد جبر أبو خضر، وَ محمّد محمود الدروبي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، منشورات جامعة آل البيت، 2008، ج2، ص:654.

(15) المصدر السابق، بتصرّف ص: 656- 657.

(16) يُنظر، عبد السلام المسدي، مباحث في اللّسانيات التأسيسيّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010 ص:10.

(17) يعرّفه الأنباري اصطلاحا :" النّقلُ هُوَ الكلامُ العربيّ الفصيح المنقول بالنّقل الصّحيح الخارج عن حدّ القلّة إلى حدّ الكثرة." يُنظر؛ الإغراب في جدل الإعراب ولُمع الأدلّة، ابن الأنباري، ص:81.

(18) محمّد خيرُ الدّين الحلواني، أصول النحو العربي، دار إفريقيا الشرق- المغرب، 2011، ص:23.

(19) يُنظر، سعيد جبر أبو خضر، وَ محمّد محمود الدروبي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص:661،662.

(20) شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط7، ص:30.

(21) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر، ص:207.

(22) علي النجدي ناصف، سيبويهِ إمامُ النحاة، عالم الكتب- القاهرة، 1979م، ص:19.

(23) :بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص:208.

(24) التواتي بن تواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة- الجزائر، ط1، 2008، ص:80.

(25) رابح بوحوش، المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة- الجزائر، ط1، 2010، ص:140.

(26) يُنظر، سعيد جبر أبو خضر، وَ محمّد محمود الدروبي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: 665، 664.